فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء



فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

١- آدم عليه السلام	٢- نوح عليه السلام
٣- هود عليه السلام	٤- صالح عليه السلام
٥- إبراهيم عليه السلام	٦- إسماعيل عليه السلام
٧- يُوسُف عليه السلام	٨- شُعيب عليه السلام
٩- أيّوب عليه السلام	١٠- يونُس عليه السلام
١١- موسى عليه السلام	١٢- داود عليه السلام
١٣- سُليمان عليه السلام	١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
١٥- عيسى عليه السلام	١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُنيرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر ، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وإنتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمَّه من رُسُلٍ وأنبياء .

قال الله تعالى: (**وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَاتُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِيْن**)

الناشر

دار القلم العربي
للأطفال

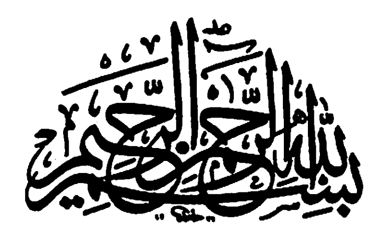
فجر الهدى والإيمان

من قصص الأنبياء عليهم السلام

يونس عليه السلام الذي ابتلعه الحوت



إعداد وترتيب : زهير مصطفى
مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ ــ 2001 م

عنوان الدار :

سورية ــ حلب ــ خلف الفندق السياحي ــ شارع هدى الشعراوي

ص.ب:78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

قَال اللهُ تَعَالى فِيْ كتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[١].

فَقَدْ خَاطَبَ اللهُ تَعَالى فِيْ كتَابِهِ العَزِيْزِ الذِيْ ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾. نَبِيَّهُ مُحَمَّدَاً، ﷺ مُخْبِرَاً إِيَّاهُ عَليْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، أنَّ هَذِهِ القِصَصَ الوَارِدَةَ فِيْ القُرْآنِ الكَرِيْمِ، مَاهِيَ إلا ذِكْرَى تُنَبِّهُ المُؤْمِنِينَ إلى مَا كَانَ مِنْ أخْبَارِ الأمَمِ السَّالفَةِ، وَمَاذَا حَل بِهِمْ بَعْدَ أنْ طَغَوْا وَبَغَوْا، وَتَكَبَّرُوا وَأعْرَضُوا عَنْ كَلمَةِ الحَقِّ وَاسْتَمَرُّوا فِيْ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَحَقَّ عَليْهِمُ العَذَابُ يَقُوْل اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

---

(١) سورة: يوسف (٣).

(٢) سورة: هود الآية (١٢٠).

فَقَدْ حوَى القُرْآنُ الكَرِيمُ أَنْبَاءَ الأمَمِ السَّالفَةِ وَأَخْبَارَ مَا بَعْدَهَا، وَرَوَاهَا بِصِدْقٍ، فَهُوَ مُعْجِزٌ فِيْ صِدْقِهِ وَإِخْبَارِهِ، لأَنَّهُ كتَابُ صِدْقٍ وَحَقٍّ. فَقَدْ أَعْلَمَنَا اللهُ عزَّ وَجَل، فِيْ القُرْآنِ الكَرِيْمِ، عَنْ أَنْبَاءٍ أَثْبَتَهَا العُلَمَاءُ فِيمَا بَعْدُ فَتِلكَ الأَحَادِيْثُ وَالأَخْبَارُ، لمْ يُؤْتَ بِهَا عَبَثَاً، وَلمْ تكُنْ كَذِبَاً، بَل هِيَ أَخْبَارٌ صَادِقَةٌ صَحِيْحَةٌ، لأَنَّهَا تَصْدُرُ عَنْ رَبٍّ هَذَا الكَوْنِ وَخَالقِهِ، وَعَنْ إلهٍ عَظِيْمٍ لاحُدُوْدَ لقُدْرَتِهِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُوْل لشَيْءٍ كُنْ فَيَكُوْنُ يَقُوْل سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ[1] مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى[2] وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

نَعَمْ ، أيُّ القَصَصِ أَكْثَرُ عِبْرَةً وَعِظَةً، وَفَائِدَةً تُرْجَى، وَعِلماً يُنْتَفَعُ بِهِ، مِنْ قَصَصِ القُرْآنِ؟ وَمِنْ هَذِهِ القَصَصِ التِي حَدَّثَنَا بِهَا اللهُ عَزَّ وَجَل، فِيْ كتَابِهِ العَزِيْزِ، ، قِصَّةُ النَّبِيِّ يُوْنُسَ عَليْهِ السَّلاَمُ، وَغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ الذِيْنَ ذَكَرَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَل فِيْ بَعْضِ السُّوَرِ وَالذِيْنَ قَصَصْنَا لبَعْضِهِمْ وَسَنَقُصُّ لبَعْضِهِمُ الآخَرِ. يَقُوْل الله عَزَّ وَجَل فِيْ سُوْرَةِ الصَّافَّاتِ:

---

(١) الألباب: العقول.

(٢) يفترَى: يُكذب.

(٣) سورة: يوسف (١١١).

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ[1] إِلَى ٱلْفُلْكِ[2] ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ[3] فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ[4] ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ[5] ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ[6] ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ[7] بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ[8] ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ[9] ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾[10].

النبي يونُس

أرْسَل اللهُ عَزَّ وَجَل، النَّبِيَّ يُوْنُسَ إلى أهْل نَيْنَوَى[11]، الذِيْنَ كَانُوا يَعْبُدُوْنَ الأصْنَامَ وَالتَّمَاثِيْل، التِيْ لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ، وَالتِي كَانُوا يَصْنَعُوْنَهَا بَأيْدِيْهِمْ، ثُمَّ يَسْجُدُوْنَ لهَا وَيُعَظِّمُوْنَهَا، يَالهُمْ مِنْ

(١) أبَقَ: هرب.

(٢) الفلك: السفينة.

(٣) ساهم: أي ضرب القرعة.

(٤) المدحضين: المغلوبين بالقرعة.

(٥) فالتقمه: ابتلعه.

(٦) مُليم: أي أتى بما يلام عليه.

(٧) نبذناه: ألقيناه من بطن الحوت.

(٨) سقيم: عليل مريض.

(٩) يقطين: القرع.

(١٠) سورة: الصافات (١٣٩ ـ ١٤٧).

(١١) نينوى: مدينة في العراق.

حَمْقَى يَعْبُدُوْنَ أَصْنَاماً حَجَرِيَّةً، لاتَنْطِقُ، بَل ليْسَتْ قَادِرَةً عَلى دَفْعِ الضُّرِّ عَنْ نَفْسِهَا، فَكَيْفَ تَدْفَعُ الضُّرَّ عَنْ غَيْرِهَا؟ وَهُمْ كَغَيْرِهِمْ مِنَ الكُفَّارِ وَالمشْرِكِيْنَ، يَعْبُدُوْنَهَا لأَنَّهُمْ رَأوا آبَاءَهُمْ وَأَجْدَادَهُمْ يُقَدِّسُونَهَا وَيَعْبُدُوْنَهَا وَحَاوَل النَّبِيُّ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ، أنْ يَهْدِيَ قَوْمَهُ الذِيْنَ عَمِيَتْ عُيُوْنُهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ الحَقِّ، وَأُغْلِقَتْ قُلوْبُهُمْ، وَأُوْصِدَتْ أَمَامَ كُل خَيْرٍ، وَكُل نُوْرٍ، فَأَظْلمَتْ عُقُوْلهُمْ وَتَاهَتْ أفْكَارُهُمْ، فَجَعَلوا يَتَخَبَّطُوْنَ بِمَهَاوِي الشِّرْكِ وَالضَّلالةِ وَالعَمَى، وَالعِيَاذُ بِاللهِ، وَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ، إلى تَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وإلى عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَل، لأَنَّهُ وَحْدَهُ جَدِيرٌ بِالعِبَادَةِ، وَوَحْدَهُ جَدِيْرٌ بِالتَّقْدِيْسِ، قَائِلاً لهُمْ:

ـ يَا قَوْمِ إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل، أرْسَلنِي إليْكُمْ هِدَايَةً وَرَحْمَةً، لآخُذَ بِيَدِكُمْ إليْهِ عَزَّ وَجَل. حَيْثُ تَنْعَمُوْنَ بِنِعَمٍ لمْ تَرَوْهَا وَلمْ تَسْمَعُوا بِهَا.

فَقَال لهُ قَوْمُهُ الضَّالونَ:

ـ أَلهَذَا تَدْعُونَا يَا يُوْنُسُ.؟ تَأْمُرُنَا أَنْ نَدَعَ مَا عَبَدَهُ آبَاؤُنَا وَأَجْدَادُنَا وَنَعْبُدَ إلهاً لا نَعْرِفُهُ بَل كَيْفَ تَتَجَرَّأ عَلى ذَلكَ؟ وَأنْتَ وَاحِدٌ مِنَّا وَمِنْ عَامَّتِنَا. فَقَال لهُمْ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ:

ـ يَا قَوْمِ اسْمَعُونِيْ وَأَطِيْعُوْنِيْ، يَهْدِكُمُ اللهُ، وَيُخَلِّصْكُمْ مِنْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ، ابْتَعِدُوا يَاقَوْمِ عَنْ هِوَايَةِ التَّقْليْدِ، وَأَزِيْحُوا عَنْ عُقُوْلكُمْ سَتَائِرَ الأَوْهَامِ وَالضَّلالةِ، وَعُوْدُوا إلى رُشْدِكُمْ، وَفَكِّرُوا وَتَدَبَّرُوا، وَانْظُرُوا

إلى مَا تَعْبُدُونَ، أهِيَ قَادِرَةٌ أنْ تَحْمِيَكُمْ مِنَ الشَّرِّ؟ أهِيَ قَادِرَةٌ أنْ تَخْلقَ شَيْئَاً؟ أهِيَ قَادِرَةٌ أنْ تُحْيِيَ وَتُمِيْتَ، أوْ تَشْفِيَ مَرِيْضَاً أوْ تَرُدَّ ضَالاً.

ثُمَّ لِمَاذَا تُغْلِقُونَ عُقُوْلَكُمْ، عَنْ هَذَا الدِّيْنِ الذِيْ أدْعُوكُمْ إليْهِ؟ وَهُوَ الذِيْ يُرْشِدُكُمْ إلى مَافِيْهِ صَلاحُكُمْ، وَيَدُلُّكُمْ إلى مَافِيْهِ خَيْرُكُمْ، وَيُبَغِّضُ إليْكُمُ الظُّلمَ وَالطُّغْيَانَ، وَيَنْشُرُ فِيْمَا بَيْنَكُمُ العَدْلَ وَالاطْمِئْنَانَ، وَيَدْفَعُكُمْ إلى التَّرَاحُمِ فِيْمَا بَيْنَكُمْ، وَإلى العَطْفِ عَلى المِسْكِيْنِ وَالتَّصَدُّقِ عَلى الفَقِيْرِ، فَمَاذَا كَانَ جَوَابُهُمْ؟:

لمْ يَظْفَرِ النَّبِيُّ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ مِنْهُمْ إلا بِجَوَابِ الجَاهِلِيْنَ المُتَعَصِّبِينَ، الذِينِ صَدِئَتْ عُقُولهُمْ، قَالوا لهُ:

ـ مَا أنْتَ يَايُونُسُ إلا بَشَرٌ مِثْلنَا، وَلسْنَا بِمُؤْمِنِينَ لكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَقَال النَّبِيُّ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ:

ـ يَا قَوْمُ هَا أنَذَا، قَدْ دَعَوْتُكُمْ بِاللِّينِ وَالصَّبْرِ، وَجَادَلتُكُمْ بِالتِيْ هِيَ أحْسَنُ، وَحَاوَلتُ هِدَايَتَكُمْ، وَانْتِشَالكُمْ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الضَّلالةِ وَالعَمَى، إلى بَرِّ الأمَانِ وَالاطْمِئْنَانِ، فَأوْصَدْتُمْ عُقُوْلكُمْ، فَلمْ تَسْمَعُوا ليَ وَلمْ تَسْتَجِيْبُوا لنِدَاءِ رَبِّيْ، وَقَدْ كُنْتُ أرْجُو أنْ تَصِل دَعْوَتِيْ إلى قَرَارَةِ نُفُوْسِكُمْ، وَلكِنْ هَيْهَاتَ[1] وَلذَا فَإنِّي أنْذِرُكُمْ عَذَابَاً

---

(١) هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ.

وَاقِعاً، وَبَلاءً نَازِلاً، وَهَلاكاً قَرِيْبَاً، فَانْتَظِرُوا عَذَابَ اللهِ، إنَّ عَذَابَ اللهِ قَرِيْبٌ.

فَقَال لهُ قَوْمُهُ:

ـ يَا يُوْنُسُ. مَاتُحَاوِل إلا عَبَثَاً، فَنَحْنُ لنْ نُؤْمِنَ بِكَ، وَلنْ نَخَافَ مِنْ وَعِيْدِكَ وَتَهْدِيْدِكَ، فَإنْ كُنْتَ صَادِقَاً فَأْتِنَا بِالبُرْهَانِ وَالدَّلِيْل، عَلى مَا تَعِدُنَا مِنْ عَذَابِ السَّعِيْرِ.

هجرةُ يونُس

وَضَاقَ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ ذَرْعاً، وَلمْ يَسْتَطِعْ عَليْهِمْ صَبْرَاً، وَقَطَعَ كُل أمَل لهُ فِيْهِمْ، وَيَئِسَ مِنْ كُل رَجَاء، ألمْ يَدْعُهُمْ فَلمْ يُؤْمِنُوا؟ ألمْ يُبَيِّنْ لهُمْ طَرِيْقَ الخَيْرِ مِنْ طَرِيْقِ الشَّرِّ فَلمْ يَرْتَدِعُوا، عِنْدَئِذٍ، صَمَّمَ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ عَلى الرَّحِيْل، فَغَادَرَهُمْ غَاضِبَاً مِنْ كُفْرِهِمْ، يَائِسَاً مِنْ إيْمَانِهِمْ، وَظَنَّ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ، أنَّ دَوْرَهُ قَدِ انْتَهَى، وَحَسِبَ أنَّ مَاقَامَ بِهِ كَانَ كَافِيَاً، وَلكِنْ لعَلَّهُ إنْ كَانَ قَدْ أطَال البَقَاءَ عِنْدَهُمْ، وَالمُكُوْثَ بَيْنَ ظَهْرَانيْهِمْ مُدَّةً أطْوَل، وَاسْتَمَرَّ فِيْ نَشْرِ دَعْوَتِهِ، لربَّمَا وَجَدَ فِيْهِمْ مَنْ يَخْفُقُ للإِيْمَانِ، وَلكِنَّهُ رَحَل دُوْنَ أنْ يُؤْذَنَ لهُ بِالهِجْرَةِ، ليَقْضِيَ اللهُ أمْرَاً كَانَ مَفْعُولاً ، وَليَلقَى النَّبِيُّ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ مِنَ اللهِ قَضَاءً، وَيَتَلقَّى جَزَاءً.

العذابُ فالتوبةُ

وَيَمْضِي يُوْنُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَلَمْ يَكَدْ يَبْتَعِدُ، إلا قَلِيْلاً، حَتَّى لاحَتْ فِيْ الأفُقِ، وَظَهَرَتْ عَلائِمُ الهَلاكِ، فَاسْوَدَّتِ السَّمَاءُ، وَتَلَبَّدَتْ بِالغُيُوْمِ الدُّكْنِ[1]، وَاغْبَرَّ الجَوُّ فَاصْفَرَّتْ وُجُوْهُ القَوْمِ وَعَلاهَا الخَوْفُ وَالفَزَعُ، وَاضْطَرَبَتْ نُفُوْسُهُمْ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ فَأيْقَنُوا عِنْدَئِذٍ، أنَّ اللهَ حَقٌّ وَأنَّ يُوْنُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، نَبِيٌّ مُرْسَل، وَأنَّ العَذَابَ لاحِقٌ بِهِمْ لامَحَالةَ كَمَا لحِقَ بِأقْوَامٍ قَبْلهُمْ سَمِعُوا بِهِمْ، كَقَومِ عَادٍ وَثَمُوْد وَقَومِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَثَابُوا[2] إلى رُشْدِهِمْ، وَخَرَجُوا صِغَاراً وَكِبَاراً، نِسَاءً وَرِجَالاً، إلى أعَالِي الجِبَال، وَبُطُوْنِ الصَّحرَاءِ، مُتَوَسِّلِيْنَ مُتَضَرِّعِيْنَ، يَسْألون إلهَ يُوْنُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، المَغْفِرَةَ وَالعَفْوَ، فَتَابُوا إلى اللهِ وَآمَنُوا بَعْدَ أنْ فَرَّقُوا بَيْنَ الأمَّهَاتِ وَأطْفَالهَا، وَالبَقَرِ وَأوْلادِهَا، وَالغَنَمِ وَحِمْلانِهَا، وَأخَذَ الجَمِيْعُ يَصْرُخُونَ، فَصَاحَتِ الأمَّهَاتُ خَوْفاً وَجَزَعاً عَلى أطْفَالهِنَّ، وَخَارَتِ البَقَرُ وَثَغَتِ[3] الغَنَمُ، فَكَانَتْ سَاعَةً زَال بَعْدَهَا كُلُّ شَيْءٍ، إذْ قَذَفَ اللهُ عَزَّ وَجَل فِيْ قُلوْبِهِمُ التَّوْبَةَ وَالإنَابَةَ، وَنَدِمُوا عَلى مَا كَانَ مِنْهُمْ

---

(١) الغيوم الدكن: الغيوم السوداء المحملة بالأمطار.

(٢) ثابوا: عادوا.

(٣) الثُّغَاءُ: صوت الغنم.

مِنْ عَظِيْمِ الذُّنُوْبِ، فَبَسَطَ اللهُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ رَحْمَتِهِ، وَرَفَعَ عَنْهُمْ نِقْمَتَهُ، وَتَقَبَّل مِنْهُمُ التَّوْبَةَ وَالإِنَابَةَ، إِذْ كَانُوا فِيْ تُوْبَتِهِمْ مُخْلصِيْنَ، وَفِيْ إِيْمَانِهِمْ صَادِقِيْنَ، فَرَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَل عَنْهُمُ العَذَابَ، وَمَنَعَ عَنْهُمُ العِقَابَ، فَعَادُوا إلى دِيَارِهِمْ آمِنِيْنَ مُطْمَئِنِّين مُؤْمِنِيْنَ، وَكَمْ وَدُّوا لوْ عَادَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ يُوْنُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لِيَعِيْشَ مَعَهُمْ نَبِيّاً عَزِيزاً وَمُكَرَّماً وَكَمْ وَدُّوا لوْ عَادَ إِلَيْهِمْ لِيُعَوِّضُوْهُ، عَمَّا سَلفَ مِنْهُمْ، مِنْ إِنْكَارِ وَأَذَىً لحِقَ بِهِ، قَال اللهُ تَعَالى فِيْ كتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾[1].

وَلمْ يَحْدُثْ أَنْ آمَنَتْ قَرْيَةٌ، بِنَبِيٍّ مُرْسَل، إلا قَالَ أَغْنِيَاؤُهَا وَمُتْرَفُوْهَا: إِنَّا نَحْنُ بِمَا جِئْتَ كَافِرُوْنَ كَمَا قَال تَعَالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ[2] إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[3].

وَلكِنَّ قَوْمَ يُوْنُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، آمَنُوا بِكَامِلِهِم، يَقُوْل اللهُ عَزَّ وَجَل فِيْ كتَابِهِ العَزِيْزِ:

---

(١) سورة: يونس (٩٨).

(٢) مترفوها: أغنياؤها.

(٣) سورة: سبأ (٣٤).

﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[(١)].

وَكَانَ عَدَدُ سُكَّانِ هَذِهِ القَرْيَةِ، أَيْ قَرْيَةِ نَيْنَوَى، التِيْ بُعِثَ إلى أَهْلِهَا النَّبِيُّ يُوْنُسُ عَلَيْهِ السَّلامُ، مِئَةَ أَلفٍ أَوْ يَزِيْدُوْنَ قَليْلاً، وَهَذَا مَا يُؤَيِّدُهُ كَلامُ اللهِ عَزَّ وَجَل فِيْ كتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[(٢)].

يونُس في بطنِ الحوتِ

أَخذَ النَّبِيُّ يُوْنُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، يَسِيْرُ وَيَسِيْرُ، بَعْدَ أَنْ فَارَقَ قَوْمَهَ، وَتَرَكَ دِيَارَهُمْ إلى أَنْ وَصَل إلى البَحْرِ، حَيْثُ وَجَدَ مَجْمُوْعَةً مِنَ النَّاسِ، تَهُمُّ بِرُكُوْبِ السَّفِيْنَةِ، فَطَلَبَ مِنْهُم أَنْ يَصْطَحِبُوْهُ مَعَهُمْ، وَيَحْمِلوْهُ حَيْثُ يَتَّجِهُوْنَ. فَرَحَّبُوا بِهِ وَقَالوا لهُ:

ـ أَهْلاً وَسَهْلاً بِكَ، فَوَاللهِ مَا نَرَاكَ إلا كَرِيْمَ النَّسَبِ، عَظِيْمَ الشَّأْنِ، وَأَنْزَلوْهُ بَيْنَهُمْ وَأَكْرَمُوْهُ إكْرَاماً عَظِيْماً.

وَمَا إنْ ابْتَعَدَتِ السَّفِيْنَةُ، قَليْلاً عَنِ الشَّاطِىءِ، وَتَجَاوَزُوا البَرَّ،

---

(١) سورة: يونس (٩٨).

(٢) سورة: الصافات (١٤٧ ـ ١٤٨).

حَتَّى أرْسَلَ اللهُ عَزَّ وَجَل، رِيَاحاً هَوْجَاءَ[(١)]، وَكَأنَّهَا الأعَاصِيْرُ، فَهَاجَتِ الأمْوَاجُ، وَمَاجَتْ وَأخَذَتْ تَتَعَالى، وَمَعَهَا السَّفِيْنَةُ، تَعْلُو وَتَهْبِطُ، كَقَشَّةٍ فِيْ مَهَبِّ الرِّيْحِ، وَأدْرَكَ رُكَّابُهَا أنَّهُمْ لا مَحَالَةَ سَيَغْرَقُوْنَ.

وَنَهَضَ أحَدُ رُكَّابِهَا، وَقَدْ تَفَتَّقَتْ فِيْ ذِهْنِه فِكْرَةٌ مَا، قَائِلاً:

ـ يَا قَوْمُ هَانَحْنُ وَسْطَ هَذَا البَحْرِ اللُّجِّيِّ، فَالمَاءُ وَالأعَاصِيْرُ تُحِيْطُ بِنَا مِنْ كُل جَانِبٍ، وَلا خَلاصَ لنَا جَمِيْعَاً، إلا بِهَلاكِ بَعْضِنَا!! وَدُهِشَ القَوْمُ وَقَالوا: مَاذَا تَقُوْل يَارَجُل؟ وَمَنْ هَذَا الذِيْ سَيُضَحِّيْ بِنَفْسِهِ مِنْ أجْلنَا. فَالتَفَتَ إليْهِمْ قَائِلاً: يَاقَوْمُ مَالَنَا سِوَى التَّخْفِيفِ، فَلا نَجَاةَ لنَا، وَلا مَخْلصَ إلا بِهَلاكِ أحَدِنَا، حَتَّى نُخَفِّفَ الوَزْنَ وَإنِّي أدْعُوكُمْ إلى أنْ تَقْتَرِعُوا، فَمَنْ خَرَجَتِ القُرْعَةُ عَليْهِ، ألقَيْنَاهُ فِيْ البَحْرِ، فَنَنْجُوَ بِهَلاكِهِ، وَلاقَتِ الفِكْرَةُ اسْتِحْسَاناً، لدَى رُكَّابِ السَّفِيْنَةِ فَاقْتَرَعُوا فَخَرَجَتِ القُرْعَة عَلى النَّبِيِّ يُوْنُسَ عَليْهِ السَّلامُ، لكِنَّ القَوْمَ رَفَضُوا أنْ يُلقَى النَّبِيُّ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلامُ، وَهُوَ ضَيْفُهُمْ، وَمِنْ وَاجِبِهِمْ إكْرَامُهُ وَالإحْسَانُ إليْهِ، فَأعَادُوا القُرْعَةَ، فَخَرَجَتْ عَليْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَرَفَضُوا إلقَاءَهُ فِيْ البَحْرِ، وَعِنْدَمَا أعَادُوهَا للمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، خَرَجَتْ عَلى النَّبِيِّ يُوْنُسَ عَليْهِ السَّلامُ، عِنْدَهَا أدْرَكَ عَليْهِ السَّلامُ، أنَّ فِي الأمْرِ سِرَّاً لا يَعْلمُهُ إلا اللهُ تَعَالى، وَأنَّ للهِ فِيْ

---

(١) هوجاء: شديد، قوية.

ذَلكَ حِكْمَةً وَتَدْبيْراً، وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ مِنْهُ، عِنْدَمَا تَرَكَ قَوْمَهُ، وَمَا ارْتَكَبَ مِنْ ذَنْبٍ وَخَطِيْئَةٍ، عِنْدَمَا غَادَرَهُمْ دُوْنَ إِذْنٍ بِالهِجْرَةِ، فَألقَى بِنَفْسِهِ فِي اليَمِّ[1] المُتَلاطِمِ الأمْوَاجِ، التِيْ أخَذَتْ تَتَقَاذَفُهُ، فَيَعْلو وَيَهْبِطُ، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَدْ أسْلمَ نَفْسَهُ لبَارِيْهَا[2] عَزَّ وَجَل، وَلكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَل، شَاءَتْ إرَادَتُهُ العَلِيَّةُ، أنْ يَحْفَظَ يُوْنُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأوْحَى إِلَى أحَدِ الحِيْتَانِ، أنْ يَبْتَلعَهُ، وَأمَرَهُ ألا يَأكُل لهُ لحْماً، وَلا يَهْشِمَ لهُ عَظْماً، فَليْسَ لهُ بِرِزْقٍ.

دعاءُ يونُس

اسْتَقَرَّ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ، فِيْ بَطْنِ الحُوْتِ، الذِيْ أخَذَ يَشُقُّ عُبَابَ الأمْوَاجِ، وَيَهْوِيْ إلى القَاعِ، ثُمَّ يَصْعَدُ، وَيَنْتَقِل مِنْ بَحْرٍ إلى بَحِرٍ، وَيُوْنُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لاَ حَرَاكَ فِيْهِ، فَحَسِبَ أنَّهُ مَاتَ وَعِنْدَمَا حَرَّكَ جَوَارِحَه[3]، تَحَرَّكَتْ، فَأدْرَكَ أنَّهُ حَيٌّ يُرْزَقُ فَخَرَّ سَاجِداً للهِ عَزَّ وَجَل قَائِلاً:

ـ يَا رَبِّ لقَدِ اتَّخَذْتُ مَسْجِداً أعْبُدُكَ فِيْهِ، لمْ يَتَّخِذْهُ أحَدٌ مِنْ قَبْل.

---

(١) اليم: البحر.

(٢) باريها: خالقها.

(٣) جوارحه: أعضاءه.

وَسَمِعَ النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهُوَ فِيْ بَطْنِ الحُوتِ، تَسْبِيْحَ الحِيْتَانِ للهِ عَزَّ وَجَل، كَمَا سَمِعَ تَسْبِيْحَ الحَصَى لِرَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالأَرْضِيْنَ السَّبْعِ، وَمَا بَيْنَهَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى[1]، وَعِنْدَئِذٍ قَال يُوْنُسُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَا قَال، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ ذُوْ العِزَّةِ وَالجَلال، عَالِمُ الخَفَايَا وَإِنْ صَغُرَتْ، وَمُجِيْبُ الدَّعَوَاتِ وَإِنْ عَظُمَتْ، حَيْثُ قَال فِيْ كِتَابِهِ العَزِيْزِ:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

وَيَقُوْل اللهُ عَزَّ مِنْ قَائِل سُوْرَةِ القَلَمِ: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ[3] إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ[4] ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ[5] بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ[6] رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[7].

---

(١) الثرى: الترب.

(٢) سورة الأنبياء (٨٧، ٨٨).

(٣) أي في الضجر والعجلة.

(٤) مكظوم: مملوء غماً في بطن الحوت.

(٥) لنبذ: أي طُرد من بطن الحوت.

(٦) فاجتباه: اختاره.

(٧) سورة القلم (٤٨ ـ ٥٠).

نجاةُ يونُس

اسْتَجَابَ اللهُ عَزَّ وَجَل لدُعَاءِ يُوْنُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَأَوْحَى إلى الحُوْتِ، فِيْ المَاءِ أنِ الفُظْ وَألقِ مَا فِيْ بَطْنِكَ فِيْ العَرَاءِ، بَعْدَ أنْ نَال مَا قَدَّرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَل، مِنْ جَزَاءٍ، وَخَرَجَ يُوْنُسُ عَليْهِ السَّلاَمُ، مِنْ بَطْنِ الحُوْتِ ضَعِيْفَاً سَقِيْمَاً مَرِيْضَاً فَتَلَقَّاه اللهُ عَزَّ وَجَل بِوَاسِعِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيْمِ مَغْفِرَتِهِ، فَرَزَقَهُ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِيْن[١]، أكَل مِنْ ثَمَرِهَا وَتَفَيَّأ[٢] بظِلها كَمَا هَيَّأ اللهُ عَزَّ وَجَل لهُ أرْوِيَةً[٣] أرْضَعَتْهُ بلبَنِهَا[٤]، فَكَانَتْ تَأتِيْهِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، حَتَّى عَادَتْ إليْهِ العَافِيَةُ وَدَبَّتْ فِيْهِ مَاءُ الحَيَاةِ وَسَرَتْ فِيْ عُرُوْقِهِ دِمَاءُ الحَيَوِيَّةَ وَالنَّشَاطِ فَاسْتَوَى وَاقِفَاً وَرَجَعَ إلى سَابِقِ عَهْدِهِ فَأوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَل إلَيْهِ: أنْ عُدْ إلى بَلدِكَ وَقَرْيَتِكَ، مَوْطِنِ أهْلكَ وَعَشِيْرَتِكَ، فَإنَّهُمْ قَدْ آمَنُوا، وَنَبَذُوا الأوْثَانَ، وَهَكَذَا مِنَّ اللهُ عَلى يُوْنُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَاسْتَجَابَ دَعْوَتَهُ وَهُوَ فِيْ بَطْنِ الحُوْتِ، وَأنْقَذَهُ مِنَ الحُزْنِ وَالغَمِّ، وَهَذَا هُوَ صَنِيْعُ اللهِ عَزَّ

---

(١) يقطين: القرع.

(٢) تفيأ: استظل.

(٣) أروية: أنثى الوعل جمعها أروى.

(٤) اللبن: الحليب.

وَجَل بِكُل مَنْ دَعَاهُ وَاسْتَجَارَ بِهِ، مُخْلصاً مُنِيْبَاً فَمَنْ حَفِظَ اللهَ حَفِظَهُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ فِيْ الرَّخَاء أَنْقَذَه فِيْ الشِّدَّةِ.

يَقُوْلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«يَا غُلَامُ إِنِّيْ مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ».

* * * * *